وفي ٧ نوفمبر ١٦٤٠ اجتمع البرلمان وعرف في تاريخ انجلترا باسم (البرلمان الطويل) إذ لم يقدم ملك من الملوك على حله مدة ثلاثة عشر عاماً (١٦٥٣) وقد بدأ البرلمان عمله مظهراً البغضاء تجاه تصرفات الملك ووجه الاتهام إلى سترافورد رئيس الوزراء ولود رئيس الأساقفة بالخيانة العظمى ضد الوطن واعدام الأول في عام ١٦٤١ والثاني في عام ١٦٤٥ بعد محاولات يائسة من الملك لإنقاذهما.

وعمل المجلس على إزالة مساوئ العهد وأصدر قراراً بأن يجتمع كل ثلاثة أعوام على الاقل حتى وان لم يستدعه الملك، وإلا يجمع الملك جيشاً بغير موفقة النواب وكذلك تعيينه للضباط. وقد حرم المجلس على الملك جمع الضرائب غير المشروعة وإلغاء ضريبة السفن، وألغى محكمة غرفة النجوم Star Chamber وغيرها من المحاكم مثل المحكمة العليا التي كانت تساعده على تصرفاته غير الدستورية، وأرغم الملك على الموافقة على أنه لا يجوز حل البرلمان الحالي إلا بموافقة أعضائه، وبذلك ساد الوفاق بين الملك واعضاء البرلمان فترة وجيزة لم يعكرها إلا تصميم الملك على عدم التقيد بما قطعه على نفسه من عهود.

ووجد الملك في الخلاف الذي دب بين أعضاء المجلس بصيصاً من الأمل في عودة سلطاته وممارسة سياسته القديمة، وتدبير المؤامرات وهو الخلاف الذي ظهر بين العظاء على المسائل الدينية بين أغلبية تريد الإطاحة بما سموه حكومة الأسقفية وأقلية محافظة تساير الملك وتدافع عن الكنيسة.

وعندما احست الاغلبية البرلمانية بما يحاك ضدها من مؤامرات صممت على فضح ما يدبر في الظلام ليعرفه الشعب فقدموا الاحتجاج الأعظم The Grand Remonstrance في ديسمبر ١٦٤١ واثبتوا فيه مساوئ الملك وطلبوا ان تكون الوزارة مسؤولة امام البرلمان، وتم طبع هذا الاحتجاج وتوزيعه على الشعب.

اثار ذلك حنق الملك شارل وتملكته سورة الغضب إلى المجلس على رأس قوة من نحو خمسمائة جندي للقبض على خمسة من زعماء المجلس وقادة حركة المعارضة داخل البرلمان وهم: (بيم Bym، وستررود Strode، وهمبدان Hampden، وهولز Holse، وهزلرج Hazleerigg) وذلك بتهمة الخيانة العظمى بدعوى أنهم ساعدوا الثائرين في اسكتلندا، ولكن الاعضاء كانوا قد علموا بالأمر من قبل فتخلفوا عن حضور الجلسة وفروا من مصيرهم المجهول.

وكان لهذا أثره في احداث ضجة كبيرة في انجلترا وثورة الرأي العام لخطورة هذه المؤامرة على حرية البرلمان وكيانه وعلى الحقوق التي اكتسبها الشعب الإنجليزي. وعندما شعر الملك بالخطر المحدق به اضطر إلى مغادرة بسرعة واتجه الى الريف هو واسرته ليبتعد عن الشعب الغاضب، وكان ذلك في يناير عام ١٦٤٢.

وخلال الفترة من عام١٦٤٢الى عام ١٦٨٥ وقعت عدة احداث هامة وهي:

١- الحرب الاهلية بثين الملك ارل الاول والبرلمان ١٦٤٢- ١٦٤٩

في عام ١٦٤٢ بدأت الحرب الاهلية بين الملك شارل الأول والبرلمان فقد جمع الملك جيشاً من انصاره الذين عرفوا باسم الفرسان Cavalier ومعظمهم من النبلاء والكاثوليك وانضم إليهم قلة من اعضاء المجلس الذين كانوا يؤيدون نظام الكنيسة الإنجليزية. وكان حزب الملك بقيادة البرنس روبرت، يسيطر على معظم المقاطعات الشمالية والغربية، بينما استعان البرلمان بالطبقة الوسطى وعرفوا باسم ذوي الرؤوس المستديرة Round Heads لانهم قصوا شعورهم إظهاراً لبغضهم ونفورهم من اعدائهم النبلاء الذين اعتادوا ارسال شعورهم حتى اكتافهم، وكان نفوذ جيش البرلمان يمتد على جنوبي وشرقي

انجلترا وقاعدته لندن. واستطاع البرلمان كذلك الوصول إلى تحالف مع اسكتلندا ضد الملك والكنيسة الإنجليكانية.

استمرت الحرب بين الجانبين الى سنة ١٦٤٤ بدون حدوث موقعة حاسمة، وكان التفوق في البداية في جانب جيش الملك ولكن قوات البرلمان انتصرت على قوات الملك لأسباب عديدة منها:

أ- ان الطبقة الوسطى صاحبة الثورة في انجلترا حاربت الى جانب البرلمان وانضمت إليها اقاليم انجلترا الشرقية التي تزخر بمراكزها الصناعية والتجارية، وبذلك توفرت الاموال لتكوين جيش نموذجي، كما انضمت اليهم القوة البحرية.

ب- ظهور شخصية أوليفر كرومويل Oliver Cromwell (١٥٩٩-١٦٥٨) وهو من البيوريتان الذي كون جيشاً من اتباعه المتطرفين ودربه تدريباً عسكرياً منظماً، وامتاز افراد جيشه بالحمية الدينية والاخلاص للمبدأ والعقيدة البروتستنتية. وكانت تلك القوة العسكرية شديدة الباس حتى استحقت اللقب الذب أطلق عليها حيث سميت بالحديدة Ironsides واصبحت لكرومويل شهرة عالية اشاد بها القائد الفرنسي تورين Turenne الذي شهد ببراعة هذا الجيش عندما أرسل كرومويل جيشاً لفرنسا لمساعدتها في حروبها ضد اسبانيا فاحرز نصراً في موقعه الدن Dune الشهيرة عام ١٦٥٧.

وحققت قوات أوليفر كرومويل النصر على قوات الملك، في موقعة مارستن مور Marston Moor في يوليو ١٦٤٤ وموقعة نازبي Nazeby في يونيه ١٦٤٥. وتعتبر موقعة مارستن مور اشهر مواقع هذه الحرب حيث ظهرت فيها مقدرة كرومويل الحربية الكبيرة التي رفعته الى مصاف القواد العظام، وقد اعترف البرلمان له بذلك. وقد يئس الملك شارل فقام بتسليم نفسه الى الاسكتلنديين الذين كانوا قد دخلوا الحرب الى جانب حزب البرلمان عام ١٦٤٦ فسلمه الاسكتلنديون الى حلفائهم مقابل مبلغ أربعمائة الف جنيه، وبقي الملك في الاسر بجزيرة وبت لمدة عامين.

وقد افسح كرومويل مجال الترقي في الجيش امام الجميع بصرف النظر عن اختلافاتهم الدينية، اما البرلمان فقد اتبع سياسة الاضطهاد ازاء معتنقي العقيدة الانجليكانية وكان يحرمهم من معاشاتهم، واخذ يطارد الملكيين ويفرض عليهم غرامات فادحة، كما بدأ البرلمان يحقد على الجيش بعد الانتصارات التي حققها ويخشى من ازدياد نفوذه. وهكذا بدأت الفرقة بين صفوف المنتصرين من اعضاء البرلمان والجيش. وقد اثارت تصرفات البرلمان كلاً من كرومويل وميلتون.

وحاول الملك شارل استغلال الخلاف بين البرلمان والجيش وبذر بذور الشقاق بينهما وقد تركز هذا الخلاف حول مناداة البرلمان باحترام القانون العام والحكومة المسؤولة على حين كان الجيش ينادي بضرورة التسامح الديني لسائر الطوائف البروتستنتية، كما ان بعض اعضاء مجلس العموم كانوا يميلون الى تهدئة الاحوال وعودة الملك الى العرش بعد المفاوضة معه على الشروط الواجب اتباعها، ولكن محاولة الملك باءت بالفشل حيث فطن معظم النواب لماربه في القضاء على وحدتهم، ولذلك صمم كرومويل وانصاره على عدم التسامح مع الملك الذي اطلقوا عليه اسم رجل الدم Man of blood ووجوب محاكمته واعدامه.

وفي ٦ ديسمبر ١٦٤٨ هبت قوة من الجيش بقيادة الكولونيل برايد Pride الى مجلس العموم وقامت بطرد مائة وثلاثة اربعين من الاعضاء البارزين المشايعين للملك ولم يبق بالمجلس سوى ستون عضواً فقط من اكبر خصوم شارل واشد اعدائه وسميت هذه العملية باسم تطهير برايد. وكان اول قرار

لهم هو محاكمة شارل واعلنوا ان مجلس العموم الذي يمثل الشعب والحكم بإدارته هو السلطة العليا في البلاد ومصدر كل الاحكام وانه ليس هناك حاجة الى ملك او مجلس اللوردات لتعطي قراراته صبغة قانونية. وفي الوقت نفسه كان كروموبل قد نجح في صد الاسكتلنديين المناصرين للملك في برستون Preston، وبذلك تهيأت الاجواء للتخلص من الملك حيث تم تأليف محكمة خاصة كان اعضاؤها من اشد الناس حقداً على الملك. وقد انتهت المحكمة الى الحكم بإعدامه وتم تنفيذ الحكم في هوايت هول White Hall في لندن في ٩ فبراير ١٦٤٩.

٢- حكومة الجمهورية ١٦٤٩-١٦٥٨

اجتمع البرلمان عقب اعدام الملك والغى الملكية واعلن سيادة الامة ونادى بالجمهورية والغى مجلس اللوردات والف هيئة تنفيذية مكونة من (٤١) عضواً من بينهم اوليفر كروموبل الذي استطاع ان يحكم بمساعدة مجلس العموم، وكان ذلك على غير رغبة السواد الاعظم من الشعب، الذي لزم السكون، لان النظام الجديد كان قائماً على قوة الجيش وعلى رأسه كروموبل. ولما سمع اهالي ايرلندا واسكتلندا بما حل بالملك قاموا بثورة ونادوا بابنه شارل الثاني ملكاً على اسكتلندا فأحاط الخطر بالجمهورية من الداخل والخارج.

وكان انصار الملكية على استعداد لمناصرة اية غارة يشنها شارل الثاني على انجلترا، ولكنت كروموبل قضى على هذه الحركات في ايرلندا عام ١٦٤٩ وهزم جموع شارل الثاني في اسكتلندا عام ١٦٥٠ في موقعة دنبار وارغمه على الفرار الى فرنسا حيث رحب به ملكها لويس الرابع عشر.

وبعد اعلان الجمهورية اطلق على الجزر البريطانية في تلك الفترة رابطة الشعوب البريطانية Commonwealth. وحاول كروموبل ان يقيم حكماً صالحاً في البلاد واخذ مع انصاره يضع دستوراً جديداً اطلقوا عليه اسم اداة الحكم Instrument of Government، وبموجبه اصبحت انجلترا جمهورية من الناحية النظرية. ولكن كروموبل الذي كان يحمل لقب حامي الدولة كان في واقع الامر يحكم كملك بغير تاج لأنه كان يتمتع بسلطة تفوق في بعض الاحيان السلطة التي كان يتمتع بها شارل الاول.

ولم يستطع البرلمان ان يضطلع بأعباء الحكم لان اعضاءه كانت تنقصهم الغيرة الوطنية والنزاهة الشخصية. وفي عام ١٦٥٣ اتهم كروموبل اعضاء البرلمان بالأنانية والضعف واغلق البرلمان لأنه اصبح اداة غير صالحة لحكم البلاد، ثم دعا مجلساً اختار اعضاءه بنفسه ممن عرفوا بالتقوى والصلاح، وعرفت هذه الهيئة باسم البرلمان الصغيرة Little parliament. إلا ان اعضاءه كانت تنقصهم ايضاً الخبرة السياسية والدراية بشؤون الحكم ففضلوا ان يضعوا السلطة كلها في يد كروموبل على ان لا يروا البلاد تتعثر مرة اخرى في ادراج الفوضى، وبذلك لقب كروموبل بحامي الجمهورية lord Protector.

وبدءاً من عام ١٦٥٣ كان كروموبل صاحب الامر والنهي في انجلترا، واطلق البعض على هذه الفترة عهد الدكتاتورية (١٦٥٣-١٦٥٨). وفي خلال هذه الفترة دعا كروموبل عدة مجالس عله يوفق الى ارجاع الحكم النيابي ولكنها برهنت على عجز في ادارة شؤون البلاد فاستمر كروموبل يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً معتمداً على براعته السياسية وجيشه القوي مدة خمسة سنوات، ومع انه واجهته صعوبات جمة في سياسته الداخلية الا انه تمكن من تحقيق السلم في الداخل، كما انه كان ناجحاً في سياسته الخارجية فقد احرز انتصارات خارجية على هولندا في الفترة من عام ١٦٥٢ الى عام ١٦٥٤، وعقد تحالفاً مع فرنسا وساعد الفرنسيين في حربهم ضد الاسبان عام ١٦٥٧، ونالت انجلترا نظير ذلك ميناء دنكرك وجزيرة جاميكا.

وفي عام ١٦٥٨ توفي كروميل، وخلفه ابنه ريتشارد Richard حامياً للجمهورية، ولكنه برهن على ضعف وعجز حيث اضطربت الاحوال في انجلترا وتداعى النظام، وانتشرت الفوضى، ومع انه كان شاباً ميالاً الى الخير والاصلاح ان يسيطر على الموقف كابيه، فقد واجه عدة صعوبات لم يكن في مقدوره التصدي لها بالحزم الواجب اولها أطماع بعض الجمهوريين الذين منهم زعماء يطمعون في القيام بانقلابات سياسية وثانيها الملوك الذين يرغبون في عودة ملوك اسرة ستيرورات وثالثها الاحزاب الدينية التي تريد فرض مذاهبها بالقوة في البلاد. وازاء ذلك الموقف المعقد تنازل عن العرش تاركاً الامر للمشادة بين الجيش والبرلمان.

استمرت تلك المنازعات نحو عام تقريباً الى ان استقر الرأي بزعامة الجنرال جورج منك G. Monk وكان اقوى القواد شخصية في ذلك الوقت، وكان من المحافظين الذين يرغبون في ارجاع الملكية. وقد طلب من البرلمان القديم ان يعد العدة لدعوة برلمان جديد للانعقاد. ولما كانت اغلبية الاعضاء الجدد من الملكيين فقد تم استدعاء شارل الثاني ابن شال الاول الذي كان يعيش منفياً في هولندا لاعتلاء العرش دون قيد ولا شرط مما يدل على ان اعضاء البرلمان اصبحوا في مركز القوة.

قبل شارل الثاني دعوة البرلمان، وبذلك انتهت الجمهورية وعادت الملكية الى آل ستيوارت. وقد اصدر شارل الثاني عفواً عاماً حتى ترتاح النفوس لان معظم الشعب الانجليزي كان يخشى عودة الحرب، وفي ٢٩ اغسطس ١٦٦٠ عاد الى لندن وسط حماس شعبي عظيم.

٣- عودة الملكية الى انجلترا

• شارل الثاني ١٦٦٠- ١٦٨٥

كان شارل يميل الى الحكم المطلق والاستبداد بالرأي غير انه حريصا على الا يسير فيه الى حد التطرف واضعاً ما حل بوالده نصب عينيه، وهكذا عمل على إلا يثير عليه غضب الشعب وكذلك عدم إثارة غضب البرلمان، وكان المجلس الذي انتخب بعد توليه يميل إلى مسألته وجعل الوفاق سائداً بين الملك والبرلمان، ولذلك ظل الحكم البرلماني مدعما مدى ثمانية عشر عاماً لم يحدث خلالها ما يدعو الى حل المجلس كذلك كان اعضاء البرلمان على استعداد لدعم الكنيسة الرسمية.

وفي عام ١٦٦٢ باع الملك ثغر دنكرك الى فرنسا بمبلغ خمسة ملايين جنيه وذلك لأنه لم يكن لديه ما يكفي نفقاته وسد حاجاته، وقد اعتبر البرلمان هذا التصرف خسارة كبيرة، وفي الفترة من عام ١٦٦٥ الى عام ١٦٧٠ وقعت عدة احداث اثارت الرأي العام في انجلترا، كما ادت إلى اتهام مستشار الأعظم كلارندن Clarendon بالخيانة ففي عام ١٦٦٧ وظل في المنفى حتى مات، ووقعت حرب بين انجلترا وهولندا ظهر خلالها أسطول هولندا عند مصب نهر التميز فأثار ذلك الرعب في نفوس الإنجليز. وفي نفس العام انتشر وباء الطاعون في لندن كما حدث حريق لندن المشهور.

وقد تألفت في انجلترا وزارة عرفت باسم زارة الكابال وهو اسم يتكون من الحروف الاولى لأسماء اعضائها، ولم يرض البرلمان عن الحكومة فقد كان كليفورد وأرلنجتن كلاهما كاثوليكيان، كما اتبع الملك سياسة خارجية لا تتفق ومصالح انجلترا بل تعرضها للخطر وهي سياسة التحالف مع السويد وهولندا ضد فرنسا.

ومن الناحية الدينية فقد كان شارل الثاني يميل إلى كنيسة روما الكاثوليكية، ولذلك أتبع سياسة التسامح مع الكاثوليك. وقد تبينت سياسته للرأي العام في سنة ١٦٧٠ عندما وقع معاهدة دوفر مع فرنسا والتي وعد بموجبها بأن يؤيد الكنسية الكاثوليكية وان يساعد لويس الرابع عشر في حروبه المتوقعة مع

هولندا ووعده لويس نظير ذلك بأن يمده بالجنود والأموال والوقوف إلى جانبه ضد أية ثورة شعبية تقوم ضده في انجلترا عندما تسنح الفرصة له بالانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما.

ادرك الشعب البريطاني ان ملكهم يعبث بكرامة بلاده وانه يسعى إلى اقامة الحكم المطلق وترسيخ الكاثوليكية الرومانية في انجلترا بمساعدة دولة أجنبية، ولذلك اصدر البرلمان قانون الاختبار الديني Test act في عام ١٦٧٣ وبمقتضاه يلتزم جميع العاملين في الدوائر والبلديات بالمشاركة في طقوس الكنيسة الإنجليزية ويحرم إسناد الوظائف الحكومية من مدينة وعسكرية إلى غير الذين على مذهب الكنيسة الإنجليزية، وترتب على ذلك تخلي دوق يورك أخو الملك عن منصبه كقائد للأسطول الإنجليزي، واضطر كليفورد وإرلنجتون إلى اعتزال الوزارة، وبذلك سقطت وزارة الكابال.

واضطر شارل الثاني الى اعلان الحرب ضد هولندا عام ١٦٧٤ واستمرت هذه الحرب فترة طويلة وانتهت بتغير قانون الملاحة في صالح هولندا، واخذت انجلترا من هولندا نيو أمستردام في امريكا واطلقت عليها اسم نيويورك وانسحبت من الحرب. وقد اضطره البرلمان الى انهاء تحالفه مع لويس الرابع عشر في سنة ١٦٧٤، والى انهاء الحرب مع هولندا لأنه تبين ان الغرض من هذه الحرب هو القضاء على استقلالها لإفساد الطريق للغزو الفرنسي لأوروبا مما يعرض انجلترا للخطر إذ يجعل مصب نهر الراين في يد فرنسا.

وفي عهد شارل الثاني ظهرت الأحزاب السياسية في انجلترا فتألف في ذلك الوقت حزبان هما:

أ- حزب التوري Tory: واعضاؤه هم المحافظون الذين يناصرون الملك واغلبهم من رجال الدين والنبلاء وكبار المزارعين واصحاب الاراضي والاعيان وساكني الريف اي ذوي الميول الرجعية المتمثلة في حق الملك المطلق في الحكم، وكانوا يقولون إن الخضوع لحاكم كاثوليكي مستبد خير من إثارة حرب اهلية إذا ما حاول البرلمان جرمان جيمس اخو الملك من حقوقه الوراثية في الحكم بعد وفاته لانه ليس له وريث شرعي. وكان على رأس الحزب الوزير الاول للملك جاني Danby. وعرف فيما بعد اسم حزب المحافظين. وكان من رأي الحزب اضطهاد جميع المذاهب الخارجية عن كنيسة انجلترا الرسمية (الانجليكانية).

ب- حزب الهويج Whigs: ويتكون من انصار البيوريتان وهم الذين ايدوا من قبل قيام الثورة الإنجليزية الاولى ضد شارل، ويشمل الحزب التجار واصحاب رؤوس الاموال وسكان المدن، وعرف فيما بعد باسم حزب الاحرار، وكان من رأي هذا الحزب التسامح الديني للمذاهب البروتستنتية الأخرى.

وفي أواخر حكم الملك شارل الثاني حمل الهويج حملات عنيفة على حقوق الملك فمال الرأي العام على إثر ذلك ناحيته واحرز التوري الأغلبية في البرلمان فتمتع شارل بالحكم المطلق الذي تمتع به اسلافه. وقبل وفاته سنة ١٦٨٥ اعلن شارل الثاني مذهبه الحقيقي وهو الكاثوليكية.

- **جيمس الثاني ١٦٨٥- ١٦٨٨**

كان جيمس الثاني كاثوليكيا متحمساً ومجاهراً بعقيدته، متمسكا بحق الملوك الإلهي في حكمه فكرهه شعبه، وفي أول عهده ووجه بثورة دوق مونمث Monmouth المدعي بالعرش، وهي ثورة تزعمها البيوريتان ليعبروا بها عن سخطهم واستيائهم بسبب ما لا قوة من اضطهاد وظلم، وقد اخفقت الثورة، ولكن الملك اتخذ منها ذريعة للقيام بأعمال الارهاب والتعسف والظلم وجعل من الجيش اداة للحكم

المطلق، وعين ضباطاً من الكاثوليك على فرق جيشه، واستدعى بعض فلاحي ايرلندا لنفس الغرض مما اغضب الشعب حيث انه اعتبرهم غرباء عنه.

وفي عام ١٦٨٧ فقد الملك جيمس الثاني ثقة حزب التوري الذي ناصره ودافع عن حقوقه، فقد تحدى الملك البرلمان بان اصدر لائحة التسامح Declaration ofIndulgence، التي ألغت القوانين التي صدرت من قبل الكاثوليك وغيرهم من اعداء البروتستنت واقدم على تعيين عدد من الثاثوليك في وظائف الحكومة بإضافة الى الجيش، وبهذه الاجراءات اغضب كلاً من التوري والهويج على السواء، وبذلك الغى القانون الذي سن في عهد اخيه شارل الثاني والخاص بحرمان الخارجين على مذهب الدولة الرسمي من الوظائف.

وكان لجيمس ابن بروتستنتية تسمى ماري، وكان الشعب يأمل ان تخلفه على العرش بعد موته، ولكن الملك رزق بولد من زوجته الثانية الكاثوليكية. وتبعاً لقانون وراثة العرش يصبح الولد احق بولاية العهد، وبطبيعة الحال فانه يولي على عقيدة ابيه، وخشى الشعب ان يؤول اليه الملك بعد موته. وكان هناك حل واحد وهو ان يقرر البرلمان خلع الملك وولي عهده ويدعوا ابنته ماري وزوجها وليم اورنج William of Orange حاكم هولندا الى تولي العرش. ووافق اعضاء الحزبين في البرلمان على اتخاذ هذا الاجراء، وقد لبى وليم وماري الدعوة على اعتبار انها رغبة الشعب الإنجليزي.

سادساً: الثورة الإنجليزية ١٦٨٨

في عام ١٦٨٨ نزل وليم أورنج ارض انجلترا وزحف بجيشه على لندن، فلما رأى جيمس انفضاض الناس من حوله وتخلي جيشه عن الدفاع عن عرشه هرب الى فرنسا وقدم البرلمان التاج رسميا الى وليم وماري، وقرر ان يقضي على المقاومة الكاثوليكية التي حاول القيام بها زعماء الكاثوليك في اسكتلندا وايرلندا.

اطلق الإنجليز على هذه الثورة اسم (الثورة المجيدة)Glorous Revolution واعتبروها نجاحاً سياسياً ودستورياً جعلت الشعب مصدر السلطات. ويرجع نجاح هذه الثورة التي لم تسفك فيها الدماء الى اتحاد البرلمان وعدم انقسامه على نفسه كما حدث عام ١٦٤٢ واتفاق الاحزاب كلها دينياً وسياسياً، واقتصار مطالب الشعب على تعديل الدستور الإنجليزي وليس قبله. وقد حكم وليم الثالث وزوجته ماري معاص من عام ١٦٨٩- ١٦٩٤ ثم حكم وليم وحده حتى عام ١٧٠٢. وبتولي وليم وماري انتهت المشكلة الدينية وذلك ببقاء الامة الإنجليزية على المذهب البروتستنتي.

اصدر البرلمان قانون الحقوق Declaration في عام ١٦٨٩ ووقعه وليم وماري، وهو لا يقل اهمية في تاريخ انجلترا السياسي عن ملتمس الحقوق والعهد الاعظم، فهو آخر وثيقة للحقوق البرلمان وخير ختام للثورة وبه تقرر إلا يجلس على عرش انجلترا من كان على المذهب الكاثوليكي، وبذلك حرم جيمس وذريته من اعتلاء العرش، ولا يجوز للملك جباية الاموال ولا تجنيد الجيوش في وقت السلم، ولا اصدار القوانين إلا بإذن من البرلمان، كما حرم على الملك تعطيل تنفيذ القوانين أو إنشاء محاكم غير خاضعة لقوانين الدولة، واثبت الشعب حقه في تقديم الملتمسات وفي حرية الانتخابات للبرلمان، وحرية الاعضاء في الكلام، والإكثار من دورات انعقاده، وهكذا قضي على نظرية الحق الإلهي للملوك واصبحت السلطة مستمدة من الشعب ممثلاً في نوابه.

كما صدر ايضاً قانون التسامح الديني لسائر الطوائف البروتستنتية الخارجة على كنيسة انجلترا في عام ١٦٨٩، ولكنه لم يسمح لهم بمزاولة الحياة السياسية والخدمة العامة، وفي عام ١٧٠١ صدر قانون

التسوية Act of Settlement الذي نص على انه لا يجوز لكاثوليكي ان يلي العرش، وبذلك استبعدت سلالة جيمس عن عرش انجلترا، ثم صدر قانون الوحدة وبموجبه اصبحت اسكتلندا وانجلترا مملكة متحدة.

وقد اغرى الإنجليز الاسكتلنديين بقبول الوحدة لما سيعود على اسكتلندا من الخير العميم باكتسابهم كل امتيازات الانجليز في المستعمرات وقوانين الملاحة والفوائد الاقتصادية؟ ومنذ عام ١٧٠٧ تكونت المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وصار المصطلح بريطاني يطلق على الانجليزي والاسكتلندي.

سابعاً: خصائص الثورة الإنجليزية

١- **المجالس النيابية:** انتشرت فكرة إنشاء المجالس النيابية بهدف اصدار القوانين، وفرض الضرائب، وتقرير سياسة الدولة بعد ان كان ذلك من حق الملك أو مجلس الوزراء.
٢- **تركيز الحياة النيابية في مجلسين:** تمثلت الحياة النيابية في انجلترا في مجلسين الاول مجلس اللوردات ويمثل الارستقراطية الإنجليزية، والثاني مجلس العموم ويمثل الديمقراطية بشكل كبير.
٣- **التمثيل النيابي على حسب الدوائر الانتخابية:** تمثل النظام الانتخابي في انجلترا في ان عضو البرلمان كان يمثل دائرة انتخابية على حسب التقسيم الجغرافي الذي تراه الدولة، فالعضو لا يمثل طبقة اجتماعية او اقتصادية معينة ولا يمثل حزباً سياسياً خاصاً ولكنه يمثل جميع سكان دائرته.
٤- **الوعي السياسي:** كان لثورة البيوريتان وكذلك الثورة الإنجليزية عام ١٦٨٨ اثر بالغ في ادراك الفرد لحقوق السياسية ففي القرن السابع عشر نمت في انجلترا روح الفردية التي تعارض امتياز الطبقات التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وكان من اسباب نمو هذه الروح ان ثوار الطبقة الوسطى كانوا يكرهون الاعتراف بتميز الطبقة الارستقراطية عليهم، وبذلك سرت روح الشجاعة وحرية الراي بينهم ونادوا بالمساواة بين كل فرد في انتخاب نوابه الذين يشتركون في وضع القوانين التي سيخضع لها.
٥- **نظام الحزبين:** نشأ هذا النظام في انجلترا حينما انقسم الاعضاء حزبين عندما عرض قانون الحرمان في عهد الملك شارل الثاني فنشأ حزب التروي وحزب الهويج، وقد عرف الحزب الاول فيما بعد باسم حزب المحافظين وعرف الحزب الثاني باسم حزب الاحرار. وكان الحزب الاول يتمسك بالنظرية الدستورية التي تخول الملك حق اختيار وزرائه من اي حزب شاء، كما تخوله ان يرسم لهم خطة العمل. اما الحزب الثاني فكان يتمسك بالنظرية البرلمانية التي تقضي بان يتولى الملك العرش ولا يحكم اي انه مجرد من كل سلطة فعلية وتركز السلطة في يد وزارة يختارون من حزب الاغلبية في مجلس العموم، ومع ذلك فان انجلترا لم تستقر على احدى النظريتين طوال القرن الثامن عشر.
٦- **نظام مجالس الوزراء Cabinat System:** يعد نظام مجالس الوزراء نتيجة غير مباشرة للثورات الإنجليزية في القرن السابع عشر، فقد كان من عادة ملوك اسرة آل ستيورات ان يختاروا مجموعة من كبار السياسيين ذوي النفوذ وبخاصة الاشراف كمستشارين لهم ليعاونوهم في شؤون الحكم كالأشراف على الشؤون المالية والشؤون الحربية، وكانوا يجتمعون عند الملك للتباحث في المسائل العامة، وقبل الثورة الإنجليزية عام ١٦٨٨ كان مجلسهم يتكون من اعضاء المجلس المقربين، اما بعد الثورة فقد اتجه الملوك تدريبياً الى اختيارهم من بين زعماء الحزب الذي يملك الاغلبية في مجلس العموم. وعندما تولى العرش الملك جورج الاول وهو الزوج الالماني للأميرة الانجليزية سنة ١٧١٤ وهو ابن الاميرة صوفية زوجة نائب هانوفر وحفيد جيمس الاول فقد كان الملك يتكلم الالمانية ولا يعرف الإنجليزية ولا يحسن التفاهم مع كبار رجال الدولة بأية لغة

اخرى، ولا يهتم بشؤون البلاد مما ادى الى استقلال الوزراء بالأمر وظهرت وظيفة رئيس الوزراء، وتكون ما يعرف بالمسؤولية الوزارية فكان من الطبيعي إلا يحضر الملك جلساتهم ما دام لا يفهم اللغة الإنجليزية. ومنذ ذلك الحين جرى المجلس على سالبت في امور الدولة بغير تدخل الملك فاصبح في الواقع الحاكم الفعلي لانجلترا. وهكذا خطا نظام الحكم خطوتين الاولى اختصاصه بإدارة الشؤون العامة، والثانية اعتماده على ثقة الاغلبية في مجلس العموم، وفيما بعد خطا خطوة ثالثة في الربع الثاني من القرن الثامن عشر وهي اختيار رئيس لمجلس الوزراء.

٧- **تطور النظريات السياسية:** اثرت الثورة الإنجليزية في تطور نظرات الحقوق الطبيعية والسيادة الشعبية.

وكانت تحكم انجلترا في النصف الاول من القرن الثامن عشر حكومة من النبلاء وكبار الاغنياء من حزب الهويج، وانتشر الفساد بين الزعماء الذين اتخذوا الوطنية وسيلة للوصول الى الحكم والثراء وارضاء الشهوات، فكبار الملاك مثلاً وضعوا قانوناً يمنحهم حق تصدير القمح مما جعل جمهور الشعب يضج من غلاء الخبز وندرته، وكذلك القانون الذي وضع لخدمة كبار التجار واصحاب المصانع بتخفيض رسوم الجمارك على الواردات من المواد الخام والمصنوعات التي يصدرونها الى الخارج، وبذلك يقع الغرم كله على عاتق الشعب الإنجليزي.

وهكذا فان الثورة الانجليزية على الحكم الأوتوقراطي لم تسفر في النهاية عن تأسيس الديمقراطية بروحها ومعناها في انجليزا، ولكنها انتجت حكومة أوليجاركية من النبلاء والاعيان وكبار التجار فلم تكن حكومة تمثل الشعب بأجمعه.

وقد اعلن الشعب عن عدم رضاه عن هذه الاوضاع، وارتفعت الاصوات بالشكوى مطالبة بالإصلاح النيابي لإيجاد برلمان يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً، ولكن الملك جورج الثالث تغاضى عن هذه المطالب واخذ يستغل النظام الموجود لكي يستطيع استرداد الكثير من سلطة العرش بتكوين حزب خاص له يتكون من اعضاء مدينين بانتخابهم له، ولم يحاول الملك ان يتعدى على سلطة البرلمان وانما نجح في استعماله كآلة في يده لفترة من الزمن، ولكن الشعب لم يغفل عن ذلك وكثر عن ذلك وكثر انصار الاصلاح النيابي وكان على رأسهم بعض كبار الساسة.

وعندما حدثت الثورة الفرنسية شغلت الاذهان واستغرقت كل الجهود لإنقاذ الوطن فخفتت الاصوات المطالبة بالإصلاح، وبدأ عصر الاضطهاد للقضاء على كل حركة للمطالبة بالإصلاح أياً كان خشية ان يتسلط حزب ثوري على الحكومة ويحدث بلندن ما حدث في باريس، واصبح الناس ينظرون الى المطالب بالإصلاح نظرهم الى الجمهوري او الثوري.

ثامناً: الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في انجلترا خلال القرن السابع عشر

لقد عرفت انجلترا في بداية القرن السابع عشر احلام فرنسيس بيكون البراقة، وترجمة المصادر القديمة، كالإلياذة، وقصيدة خلق العالم، هذه الترجمة التي اغنت الفكر الانكليزي.

اضف الى الكاتب المسرحي الكبير شكسبير الذي عاش في القرنين السادس عشر والسابع عشر (١٥٦٤- ١٦١٦). وقد مثل وليم شكسبير (William Shakespeare) الحماسة الوطنية بعد القضاء على اسطول فيليب الثاني ملك اسبانية (الارمادا) في عام ١٥٨٨ وانعكس ذلك الشعور في مسرحياته (ريتشارد الثالث Richard III) وهنري الرابع ودراميانه (هاملت Hamlet) في عام ١٦٠٣ و(عطيل)

في عام ١٦٠٤، ومكبث في عام ١٦٠٥و(روميو وجوليت Romeo Et Juliette). و(العاصفة La Tempete) و(هنري الثامن Henri VIII) في عام ١٦١٢.

والكاتب جون ميلتون John Milton ١٦٠٨- ١٦٧٤ الذي شارك شكسبير بنصيب كبير في الانتاج الانساني الكبير. كما عرفت انجلترا مفكرين كباراً في اواخر القرن السابع عشر كان اشهرهم (جون لوك John Locke ١٦٣٢- ١٧٠٤) الذي نشر كتابه (مقال عن السلطة المدنية) وفيه طالب بصوت مرتفع، بالحقوق الطبيعة للفرد وسيادة الشعب والتسامح الديني.

ولقد ظهر الفكر السياسي على اثر الاحداث الدامية التي جرت في انجلترا بين ١٦٤٢- ١٦٤٩، وتمثل ذلك في الصراع على السلطة بين الملك شارل الاول والبرلمان الانكليزي، والذي كان نتيجة اعدام الملك شارل الاول من قبل الثورة الانكليزية، وقيام الجمهورية في انجلترا برئاسة اولفير كرومويل ومن ثم عودة الملكية الشرعية للحكم ممثلة بالملك شارل الثاني في عام ١٦٦٠. وكان من ابرز ممثلي الفكر السياسي الانكليزي في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الشعب الانكليزي الكاتب توماس هوبنز (١٥٨٨- ١٦٧٩) الذي كان من انصار السلطة المطلقة، واشهر كتبه (التين) الذي نشر في عام ١٦٥١ وافضل انواع الحكم برأيه الملكية المطلقة والمفكر السياسي الاخر هو (توماس لوك Thomas Locke ١٦٣٢- ١٧٠٤) الذي وقف الى جانب البرلمان ضد الملك اثناء قيام (الثورة الجليلة La Revlution Gloriuse) في عام ١٦٨٨. وكان لوك يؤمن بان الدولة قامت على اساس عقد او اتفاق واع بين الحاكم والمحكوم.

ومن اهم كتبه (مقالتان في الحكومة) برز فيه قيام الثورة المجيدة في عام ١٦٨٨. وقد توصل توماس لوك الى نتيجة هي: حق البرلمان في ازاحة جيمس الثاني واعلان وليم الثالث (غليوم الثالث) و(ماري الثانية) ابنته ملكين على انجلترا.

من ناحية التطور العلمي، فان القرن السابع عشر كان عصر تطور علمي رائع في انجلترا ابرز فيه عدد من كبار العلماء في مختلف المجالات العلمية، وقد زهت انجلترا في هذه الفترة بالعالم (اسحق نيوتون Newton ١٦٤٢- ١٧٢٧) الرياضي والفيزيائي، والفلكي، صاحب قوانين الجاذبية الكونية، التي تفسر حركة الكواكب بالجاذبية التي تؤثر كل منها بالآخر، ويجب ان ننسى فرانسيس بيكون (F. Bacon ١٥٦١- ١٦٢٦) الذي اثبت الطريقة التجريبية في العلوم وجعل البحث العلمي مستقلاً عن الطريقة السكولاستيكية.

اما العالم الانكليزي الكبير وليم هارفي (William Harvey ١٥٧٨-١٦٥٧) فيعود اليه الفضل باكتشاف الدورة الدموية في عام ١٦٢٤. ثم العالم الانكليزي الكيميائي (روبرت بويل R. Boyle ١٦٢٧- ١٦٩١) وما حققه من اكتشافات في مجال علم الكيمياء.

ويمكننا الاستنتاج بان نهاية القرن السابع عشر في انجلترا شهد نوعاً من الرخاء بعد انتهاء الحرب الاهلية واستقرار النظام. فلندن بعد ان تعرضت لحريق عام ١٦٦٦، اعيد بناؤها على خط المدن الفرنسية والايطالية وتحولت لمدينة حديثة، وظهر نوع من الثراء والفضل يعود انمو التجارة البحرية ونمو الاسطول (١٣٠٠٠) سفينة في عام ١٧٠٠، وقد ادى الى حلول انجلترا محل هولندا، وتحالفها مع البرتغال التي زودتها بالذهب من البرازيل، وغدت لندن مركز العالم التجاري عامة بعد تأسيس بنك انجلترا في عام ١٦٩٤، واضحى الجنيه الاسترليني اقوى عملة في أوربا. هذا الرخاء الانكليزي ساعد على خلق الجو المناسب لكل ما تقدم من نهضة، وان اتت متأخرة الا انها ملكت الوقت الكافي في انتاج ثمارها والمشاريع بنصيبها في النهضة الاوربية خلال القرنين السادس والسابع عشر.

الفصل السادس

فرنسا في العصر الحديث

تمهيد

كان الفرنجة يسكنون الجزء الواقع بين كولون Colone وبحر الشمال من نهر الراين على اقليم غاله Gaul وهو الاسم القديم لفرنسا في القرن الخامس الميلادي، وهزموا القائد الروماني حيث كان هذا الاقليم وقتئذ جزءاً من الدولة الرومانية، ثم مد زعيمهم كلوفس Clovis نفوذه في هذا الاقليم جنوباً حتى نهر اللوار ومد حدود دولته حتى جبال البرانس، ثم توسعت في عهد خلفائه وامتدت من خليج بسكاري في الغرب الى قرب سالسبرج Salzburg في الشرق حتى مجيء شارلمان Charlemagne الذي اعاد ذكرى الدولة الرومانية في الغرب، وقد مزج العناصر الرومانية الجرمانية، وبذلك وضع اسس المدينة الحديثة.

وقد حكم شارلمان دولة مترامية الاطراف، غير متجانسة في اللغة والجنسية والدين. وبعد وفاته عام ٨١٤ بدا الضعف يتسرب الى دولته وتم تقسيمها بين احفاده بمعاهدة فردان Verdun سنة ٨٤٣ وكان الجزء الذي عرف باسم فرنسا فيما بعد من نصيب احدهم واسمه شارل Charles، الا ان دولته لازمها الضعف والتفكك والانحلال حتى انقرض آخر فرع من اسرته سنة ٩٨٧ فاجتمع الاشراف وقدموا التاج الى هيوكابت Hugh Capet دوق باريس فاستطاع بمعاونة الكنيسة ان يضرب الاشراف بعضهم ببعض ويقضي على سلطانهم، وسار احفاده من بعده على سياسته حتى تمكنوا من تقوية نفوذهم ومد سلطانهم على معظم اجزاء فرنسا.

واعظم ملوك هذه الاسرة كان الملك لويس التاسع (١٢٢٦- ١٢٧٠) الذي ادخل اصلاحات عظيمة في حكومة فرنسا، وحد من نفوذ الاشراف، وانشأ البرلمان الذي كان في ذلك الوقت عبارة عن محكمة عليا للاستئناف ولمحاكمة الاشراف، وقد قاد لويس التاسع الحملة الصليبية على مصر وهزم في المنصورة واسر، ثم سراحه بفدية كبيرة، وقام بعد ذلك بحملة صليبية اخرى على تونس. وتولى الملك فيليب الرابع عام ١٢٨٥، وفي عهده اجتمع مجلس طبقات الامة لأول مرة وهو مجلس يمثل الاشراف ورجال الدين والشعب، وتوفي عام ١٣١٤. وقد انقرضت هذه الاسرة عام ١٣٢٨.

واعقبتها اسرة فالوا Valios وفي عهد ملوكها فيليب السادس وشارل السادس وشارل السابع وقعت حرب المائة عام بين فرنسا وانجلترا بسبب امتلاك ملوك انجلترا اراضي فرنسا وادعاء ملوك فرنسا حق السيادة عليهم كأنهم من اتباعهم فنشأ عن ذلك احتكاك بين الطرفين ادى الى ان ادوارد الثالث ادعى ان له حقاً في تاج فرنسا عن طريق والدته التي هي من الاسرة المالكة في فرنسا.

ورغم تفوق الانجليز على الفرنسيين في الحرب الا ان الحمية دبت في روح الجيش الفرنسي عندما قادت جان دارك Jean Dark الجيش في الحرب عام ١٤٢٩ واستولى الجيش الفرنسي على مدينة اورليانز Orleans وفقدت انجلترا كل املاكها في فرنسا ما عدا كاليه Calais. وكان من نتيجة هذه الحريب القضاء على سلطة الاشراف الى حد كبير، كما ادت من ناحية اخرى الى تزايد قوة الملكية في فرنسا واصبح لها جيش ثابت ومدرب تدريباً جيداً منذ عام ١٤٣٩.